مِنْ مَظاهِرِ الاسْتِدْلالِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ
مَظاهِرُ المَعاني الإسْتِدْلالِيَّةِ
(الجزء الثاني)

أ.د. محمد محمود زوين
كلية الفقه– جامع الكوفة

مظاهر المعاني الاستدلالية:

يتسم المعنى القرآني في سموه بعقلانية خطابه، وارتباطه بدقائق وجدان الإنسان وأحاسيسه، وتتأصل آثاره، وتسود دلالاته بياناً وظهوراً مؤثراً في المخاطب مهما كان اعتقاده الفكري، ونوازعه النفسية.

والاستدلال آلة الخطاب القرآني الساحرة، وعصاه المؤثرة المغيِّرة في أجناس الأفكار، وطبائع الألفاظ، وألوان الصياغات، وطرائق القضايا المختلفة والمؤتلفة التي تتنامى فيها المعاني وتستحيل فاعلاً حاكماً في النتائج المعبرة عن مسلك الكتاب العزيز في خطابه.

فلا مندوحة للمتأمل الرائد من أن يلمس حقائق الاستدلال على لباب المعاني القرآنية في جميع المسائل التي عرضها القرآن الكريم خطاباً إلهيا بروائع الحجج حساً وعقلاً، فتجسد واقعاً تطبيقياً عملياً وموضوعياً ملموساً في حراك المخاطب اليومية لما يؤسس يقينية برهان الاستدلال وقصديته، ويوسع مدار أثره المعجز.

ومن عيون القضايا التي كانت مقاماً للاستدلال والبرهان هي قضية إثبات

وجود الله تعالى، وتوحيده، وقدرته على الإيجاد والخلق والإحياء والإماتة، والبعث والنشور فقد أوردها الكتاب العزيز بأساليبه العجيبة، ونظمه الفريد فعرضها أكثر من مرة وأكدها استدلالاً آية بعد أخرى، وسورة بعد سورة، ولم يبق من صدق دلائلها وظهور براهينها بعد الحق إلا الضلال.

بعبارة أخرى تتعاضد أساليب القرآن في جوانبه البرهانية والجدلية والخطابية بعضها مع بعض، فتشكل قوالب استدلالية تتداخل فيها الموضوعات الرئيسة المكونة لغايته ومقاصده في إثبات وجود الله تعالى، والبرهان عليه، وتنزيهه عن الشرك، وتوحيده من خلال بيان قدرته على الخلق والإيجاد والإحياء والتدبير، فضلاً عن الاستدلال على إنزال الكتب السماوية وبعث الأنبياء والرسل وتصديق رسالاتهم وتأييد معاجزهم في تحديهم لأقوامهم ومغالبتهم أهل الكفر والشرك والعناد، ولعلك لا تجد هذه الموضوعات مستقلة بعضها عن بعض في سياقات آيات الذكر الحكيم، فهي مصوغة في إطار متكامل من العلاقات الاستدلالية فتنتقل بك من موضوع إلى آخر يتمم احدهما سابقه ولاحقه، ويتكاملان مع سياقات ثانية، حتى لتذهل من روعة طرائق انسجام الموضوعات المستدل عليها وكأنها موضوع واحد يشدُّ بعضه أواصر بعض، ولعلنا لا نغادر الموضوعية والدقة إذا حاولنا بمسلك بحثي ان نفرد بعض موضوعات الاستدلال بشكل مستقل لنقارب بين مضامين المعاني التي تشكل من خلالها بصورة اعتقد أنها تجسد المقاصد الاستدلالية المتوخاة من إيرادها في لوحات معبرة غائية، مع الإقرار بأن هذا المسلك لا يمكّن الباحث من إفراد موضوعات الاستدلال إلا بصورة نظرية وان تداعي المعاني الاستدلالية وتناسبها البياني، وتفاعلها، وتراتبها المعجز، وانعدام مزايا تفردها أدى إلى اعتماد منهج التلفيق بين معاني الموضوعات الاستدلالية والوقوف عندها موضوعاً بعد أخر، ولو كان ذلك نظرياً في اقل الاحتمالات وتأسيساً لما سبق يمكن الاطمئنان إلى أن أهم الموضوعات التي

نستجلي من مظاهرها المعاني الاستدلالية كان تنزيه الباري تعالى ذكره عن االشرك وتوحيده وإبطال مزاعم المفترين، فقد توافرت الاستدلالات الباهرة، والبراهين الظاهرة، والحجج القاهرة في خطابات القرآن وأساليبه في أثبات وجوده تبارك شأنه، وتوحيده، ونفي الشرك به كما في توصيف المكذبين. والمتحقق من الشواهد القرآنية في هذه المسألة يلحظ عناية القرآن الكريم في المسألة وتعضيد غاياته ومقاصده بالشواهد الحسية والعقلية التي لا يمكن الإفلات من إدراكها، أو الهروب من سطوة وضوحها.

هذه الثلاثية (التنزيه –التوحيد –نقض الشرك) وان تكاملت في ترتيبها المعنوي والدلالي والعقدي إلا أن القرآن الكريم سعى إلى توجيه الأنظار نحوها من خلال حكاية أقوال الآخر المقابل سواء كان ذلك الآخر فرداً طاغياً أو جمعاً مشركاً، ولعل في قصة خليل الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام) خير شاهد فالقرآن الكريم ينقل إنكار إبراهيمؑ على (آزر) اتخاذه الأصنام آلهة من دون الله تعالى وينكر على قومه الأمر عينه، ويحكي لنا الكتاب العزيز ذلك أكثر من مرة[1]، وفي كل ذكر لهؑ يوجه الاستدلال بصورة حية وبمشهد مصور من تعدد الحوار وتجدده، وتنوع الخطاب وتفرده، فحينا يدور الكلام بين إبراهيمؑ و(آزر)[2]، وثانيةً بينهؑ وقومه[3]، وأخرى يجمع الطرف الآخر آزر وقومه معاً[4].

ومن لطيف الإشارة هنا، إن تكرار الحوار والاستدلالات كان واقعاً متجدداً أكثر من مرة في خطاب إبراهيمؑ؛ لذا تكررت بحسب ذلك ذكر احتجاجاته في

(١) وردت احتجاجات إبراهيمؑ في خطابه واستدلاله مع آزر ومع قومه في السور الآتية وهي: ظ/ [سورة الإنعام: ٧٤-٨٣]، [سورة مريم: ٤١ -٤٧]، [سورة الأنبياء: ٥١ -٧٠]، [سورة الشعراء: ٦٩-٨٢]، [سورة العنكبوت: ١٦ -٢٤]، [سورة الصافات: ٨٣ -٩٨]، [سورة الزخرف: ٢٦ -٢٨]، [سورة الممتحنة: ٤]، وهذا غير آيات أخرى كثيرة جاءت على ذكر بقية حراك قصة إبراهيمؑ في القرآن الكريم.

(٢) ظ/ [سورة مريم: ٤١ -٤٧].

(٣) ظ/ [سورة العنكبوت: ١٦ -٢٤].

(٤) ظ/ [سورة الأنبياء: ٥١ -٧٣]، كذلك [سورة الشعراء: ٦٩ -٨٨].

قصته القرآنية مرة بعد أخرى، ولعل ورود ذكر إبراهيم عليه السلام مرتبطا بالذين معه في سورة الممتحنة دليل على مواكبة تعدد ذكر قصته في القرآن المجيد، مع حركية رسالته في قومه حتى كان له من الأتباع والمؤمنين به ما يكوّن الأسوة الحسنة التي عبر عنها التنزيل في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [سورة الممتحنة: ٤-٦]

وإذا تأملت في قوله: «والذين معه» و «فيهم أسوة حسنة» وغيرها من الضمائر والضمائم الدالة على المؤمنين بإبراهيم لرأيت أن ذلك لم يتحقق في أول دعوته لقومه، وإنما جاء بعد إعلانها حتى تحققت له ثلة ممن هم على شاكلته التي عبر عنها القرآن بالأسوة الحسنة، وهي ما نلمح فيها الدلالة على تزامن تكرار هذا الجانب من قصة الخليل عليه السلام في استمرار خطابه وتجدده مع قومه حتى كان في كل ذكر جديد لقصته تَفَرُّد في إشارة جديدة لواقع فعلي في القصة[٥].

ومهما يكن من أمر فقد أنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه عبادتهم من دون الله تعالى في آيات متعددة وفي سياقات مختلفة تنوعت فيها طرائق الخطاب وأساليب إبطال ما يعبدون قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٧]، وقوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [سورة مريم: ٨١ -٨٢]، قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

(٥) ظ/ لماذا تتكرر قصص الأنبياء في القرآن الكريم/ ١٦١.

﴿ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٨١ –٨٢]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١ –٥٤]، قال تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٦٩ –٧١]، قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٦ –١٧]، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الصافات: ٨٣ –٨٧]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦].

في هذه الآيات تحرير أسلوبي قرآني حواري في تأكيده عبادة قوم إبراهيم عليه السلام من دون الله تعالى، وأنت تلحظ في كل هذه الآيات الكريمة أسلوب النفي، والسؤال وهي ظاهرة في قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ ... ﴾ وقوله ﴿ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ... ﴾، وقوله: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾، وقوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ... ﴾، وقوله: ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ فِى.. ﴾، وهذا الأسلوب يظهر خطاباً دالاً في اتجاهين:

الأول: الاستنكار والتعجب من المسألة التي لا يراد منها الاستعلام والاستفهام[٦] بقدر ما يراد منها التعجب والنقض والتبرم، لذا نلحظ أن إبراهيم عليه السلام يسألهم من جهة ويقرر عليهم الإجابة من جهة أخرى كما قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات: ٨٥ –٨٦].

الثاني: الاحتجاج على الآخر من

(٦) ظ/ الكشاف/ ٣/ ٢٤١، كذلك/ مفاتيح الغيب/ ٢٤/ ١٤٢.

خلال إقراره بالكفر وهو الأمر المستهجن ممن هو أهل للعبادة حقاً، ولعل هذا المعنى يقرره كمال أسلوب خليل الله عند براءته من عمل أبيه وقومه(٧)، وقد تصدى إبراهيم عليه السلام لظاهرة الكفر باستدلال عضد بين أساليب متنوعة قامت على الجمع بين ما يُدرك وما يُتعقّل، بين ما يُلمس ويُحس، وما يُتدبَر ويُتفكرّ أو ما يعتمد أدنى درجات التفاعل مع تصورات الإنسان ومتطلباته بمَن يُعتقد أنه بمقام (الإله) وهذا أمر لا يمكن الاطمئنان إليه إلا من خلال التجارب بين المُعتَقِد والمُعتقَد به؛ ولا تكفي التصورات النظرية سبيلاً للاعتقاد، من هنا كان استدلال قومه الكافرين ذلك التصور البائس الخاطئ قال تعالى ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٣]، وقوله عزّ من قائل حكاية على لسانهم: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٧١].

إنه تصور التقليد الأعمى الذي يغيب فيه العقل، ويحيا به العمى والعزة بالإثم، في حين نجد براهين الخليل عليه السلام من لباب العقل والفطرة التي لا ينصرف عنها فطن، ولا يغفل عن الإحاطة بحقيقتها الشاخصة متعقل، سمتها العلم خلاف الظن وكل يأخذ بصاحبه مأخذه، فالعلم يهدي إلى الصراط السوي، والظن لا يغني شيئاً سوى الضلال الأعمى وهو ماجاء على لسانه عليه السلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٤٣].

وعلى أية حال فقد كان استدلال إبراهيم عليه السلام يهدف إلى توجيه أنظار قومه إلى حقيقة جنس الجماد، وفقدانها أهلية التجاوب مع معتقديها، فهي صماء بكماء لا تسمع ولا تبصر بل لا تغني شيئاً، فلا نفع ولا ضرّ لها وهي قاصرة عن دفع الضر عنها، فكيف تدفع عن عابديها أو تنفعهم قال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٧٢-٧٤]. وقوله تعالى على

(٧) وهو ظاهر من قوله تعالى في: [سورة الزخرف: ٢٦]، وقوله تعالى: [٤]، وقوله جل وعلا: [العنكبوت: ١٦ -١٧].

لسان خليله: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٦-١٧].

فقد أشار عليه السلام إلى أن غاية ما وصلوا إليه من استدلال عقيدتهم هو عبادة الأقدمين الأولين من آبائهم إلا إن هذه الأولية والتقدم بحسبان العقل والتفكّر ليست برهاناً على الصحة، والباطل الذي كان عليه آباؤهم لا ينقلب حقاً بالتقادم ومرور الأزمان والدهور[٨]، ولعلك تجد من لطائف الاستدلال هنا تقرير «عدم منفعة في الحال وفي المآل؛ وهذا لأن النفع إما في الوجود، وإما في البقاء، لكن ليس منهم نفع في الوجود؛ لان وجودهم منكم حيث تخلقونها وتنحتونها، ولا نفع في البقاء لأن ذلك بالرزق، وليس منهم ذلك، ثم بين إن ذلك كله حاصل من الله تعالى ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾، فقوله: ﴿ ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى استحقاق عبوديته لذاته، وقوله ﴿ ٱلرِّزْقَ ﴾ إشارة إلى حصول النفع منه عاجلاً وآجلاً»[٩].

مراتب استدلال إبراهيم عليه السلام:

ومن النظر في استدلال الخليل عليه السلام: على إثبات وجود الله تبارك شأنه فأنك ترصد مراتب عديدة لذلك منها:

المرتبة الأولى: ما سبق في بيان حقيقة اعتقادهم القائم على ما يختلقون من إفك وتصورات في معبوديهم لا ترقى لأهلية عبادتهم كونهم فاقدين للنفع والضر، فضلاً عن السمع أو البصر، وإذا كان هذا الحكم الاستدلالي قد يبدو في ظاهر أمره نظرياً فانه عليه السلام قد وثق وأظهر ذلك عملياً، وجعله أمراً قاهراً في نقض اعتقاد قومه لا ينفلتون من سطوة صوابه، وقوة منطقه وبرهانه.

المرتبة الثانية: التي يجدُّ فيها إبراهيم عليه السلام بتحطيم الأصنام وتكسيرها والاستدلال

(٨) ظ/ الكشاف/ ٣/ ٢٤١، كذلك ظ/ الأمثل/ ١١/ ٣٩٣.

(٩) مفاتيح الغي/ ٢٥/ ٤٤، ظ كذلك الميزان/ ٥/ ٢٨١.

من خلالها على واقع حقيقتها كونها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، وهي مدار آيات سورة الأنبياء والصافات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١ –٦٨]، وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٠ –٩٦].

وتبدو من خلال خطابه عليه السلام امور عديدة أهمها انه أقسم وعزم على كيد الأصنام والكيد واضح في إثاراته الفعلية بالتحطيم، وتهكمه وتحقيره واستهزائه بآلهتهم من خلال دعوته لهم بالنطق أوسؤآلهم[10] وأمثاله وهو يعلم أنهم لا يحيرون جواباً، وهو عليه السلام بحركته هذه نبه أنظار قومه وضمائرهم عن طريق إيجاد موجة نفسية ومراجعة ذاتية لأنفسهم يتدبرون ولو للحظات ويتعقلون ولو

(١٠) ظ/ تفسير البصائر: ٣٤: ٢٦٩، ظ كذلك/ معارج التفكر ودقائق التدبر/ ١٤/ ٣٢٥، ظ/ الميزان/ ٧/ ١٦٣.

برهة من الزمن صفة معبوديهم وحقيقة معتقدهم[11]، وهو ما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٤-٦٥] كل ذلك جاء من إجراء الاستدلال الذي جمع بين العقل والفطرة في مقام واحد في الاحتجاج «لقد هزّ إبراهيم عليه السلام عقولهم وأجهزة الإدراك فيهم هزاً عنيفاً بهذه الإجابة، ولا سيما قوله لهم: ((فاسألوهم إن كان ينطقون))، تحدث عليه السلام عن أصنامهم كأنها عقلاء مراعاةَ لاعتقاد قومه فيها، فرجعوا إلى عمق أنفسهم يحاكمونها، إذ اكتشفوا أن آلهتهم لا تتكلم ولا تجيب عن أسئلة عابديها، ولم تستطع أن تدفع عن نفسها التكسير والتحطيم، فقال بعضهم لبعض، أو قالوا لأنفسهم في محاكمة داخلية بينهم وبين أنفسهم «أنكم انتم الظالمون باتخاذ ما لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق، ولا تستطيع إن تحمي أنفسها ممن يريد تكسيرها وتحطيمها. لكنهم بعد ذلك رجعت عوامل كبرهم وانتصارهم لسوابق اختيارهم وتقاليدهم تنفخ في صدورهم، فانقلبت مفاهيمهم التي قوّمها التنبيه الإبراهيمي فنكسوا على رؤوسهم، أذ صار أعلاهم وهو موضع جهاز العلم فيهم في موضع أقدامهم، وهذا انتكاس جعلهم أضلّ من الأنعام»[12]، وما ذاك إلا لتركهم نعمة العقل، ومعاندة الفطرة، واتخاذهم التقليد الأعمى منهجاً وسبيلاً، فَغلَّبوا حجارتهم التي نحتوها على عقولهم التي سفهتها عقيدتهم الباطلة.

المرتبة الثالثة: من استدلال إبراهيم عليه السلام فهو احتجاجه عليهم بما هو في أنفسهم، وما حولهم من كينونة الخلق وابتدائه ثم ما يجري من عوده وانتهائه، وكيف له تعالى التصرف في السموات والأرض التي فطرها، فضلاً عن تذكيرهم بما جرى على الأمم من قبلهم حينما كذبوا رسلهم فما كانوا بمعجزين في الأرض، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي

(١١) ظ/ الأمثل/ ١٠/ ١٩٢.

(١٢) معارج التفكر ودقائق التدبر/ ١٤/ ٣٢٥-٣٢٦، ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٢/ ١٨٦، ظ/ الميزان/ ١٧/ ٣٠٣.

﴿فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٥ -٥٦] وقوله على لسان خليله: قال تعالى ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة العنكبوت: ١٨ -٢٢].

فاحتجاجه عليه السلام بالدليل الأوفى على أن الذي هو (ربكم) هو من فطر السموات والأرض ودبرهما خلقاً وإدارة، ولعل دلالة قوله تعالى: ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أراد به الإشارة لكثير من الأمور منها انه إجابة عن قولهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ وفي التصدي للشهادة ابتعاد عن كل أمر مستهجن، وإعلام بالقدرة على الإثبات والاحتجاج البرهاني والفعلي[١٣]، «أي: وأنا على ذلكم الذي قلته من الشاهدين شهوداً فكرياً مقروناً بالحجج البرهانية ومن المؤمنين به الذين يعلنون شهادتهم به، شهادة باللسان مطابقة لما في الفؤاد من إيمان راسخ الأركان ثابت البنيان»[١٤]، هذا من جهة ومن جهة ثانية أرى في قوله: ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إشارة لما سبق من استدلال على الخالق الفاطر في سورة الأنعام وذلك في محكم قوله تعالى حكاية عن إنكار إبراهيم عبادة أبيه وقومه للأصنام ومحاولة دعوتهم بأسلوب تدريجي عقلاني منطقي تسوده البراهين وتلازمه الحجج عليهم فليس لهم من دون الله تعالى معبود وخالق يستحق العبادة، فالله تعالى الخالق والمدبر وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

(١٣) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٢/ ١٨٢.
(١٤) معارج التفكر ودقائق التدبر/ ١٤/ ٣٢٢، ظ كذلك الجامع لأحكام القرآن/ ١٤/ ٢١٦.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤-٧٩]، ومن المناسب الإشارة والتنبيه إلى أن المفسرين قد توافروا على فهم هذه الآيات بأشكال كثيرة ومسالك شتى وما يهمنا آلية استدلاله عليه السلام على إثبات وجوده جل وعلا وتدبيره لهذا العالم الذي فطره «فلا شك في أن إبراهيم عليه السلام كان موقناً يقيناً استدلالياً وفطرياً بوحدانية الله، ولكنه بدراسة أسرار الخلق بلغ يقينه حدّ الكمال[١٥]، كما أنه كان مؤمناً بالمعاد ويوم القيامة، ولكنه بمشاهدة الطيور المذبوحة التي عادت إليها الحياة بلغ إيمانه مرحلة «عين اليقين»[١٦]؛ ولذا فإن الاستدلال على هذا التوحيد والترقي فيه والإشارة إلى أن توحيد التدبير ملازم وشفيع لنقض وإنكار من يعتقد بالكواكب آلهة أو مدبرة، باعتبار أن بعضهم يشرك من جهة التدبير في أن هناك من يدبر الأمر مع الخالق الموجود، فهو يعتقد بوحدانية الإيجاد والخلق ويشرك في أمر التدبير[١٧]، وعلى أيٍّ كان الأمر فإن من يغيب ويأفل ويحضر بغير إرادته ووفقاً لقوانين الطبيعة، وينقطع عن مربوبيه تارة، ويشهدهم تارة أخرى لا يمكن أن يكون رباً أو مدبراً لضعفه وعدم قدرته على التحكم ببقائه أو غيابه، بهذا التسلسل العقلي الاستدلالي التدريجي[١٨]، احتج إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه وهو في مقام الشاهد المتيقن في ذلك والله العالم.

ومن لطائف الاستدلال ودقائقه

(١٥) ظ/ خصائص التعبير القرآني/ ١/ ٤٤٦.

(١٦) الأمثل/ ٤/ ٣٤٨.

(١٧) ظ/ الميزان/ ٧/ ١٨١، ظ كذلك/ القصص القرآنية/ ١/ ٢٠١-٢٠٣.

(١٨) ظ/ الأمثل/ ٤/ ٣٥٢، ظ كذلك/ معارج التفكر ودقائق التدبر/ ١١/ ٣٠٨-٣٠٩، ظ كذلك/ الميزان/ ٧/ ١٩٢.

تعبيره في آيات سورة العنكبوت مرة بلفظ (الم يروا) وأخرى بلفظ (فانظروا) وقد سبق الاستفهام الإنكاري لفظ (يروا) وما فيها من دلالة على إعمال العقل واستنكار الغفلة وعدم العناية بالحجج الباهرة، والآيات العظيمة عليه تعالى شأنه، ومن بعد توكيد ذلك حجة ً عليهم أمرهم بقوله: (فانظروا) ولا يغيب عن تأمل اللبيب ما في دلالة (يروا، وانظروا) من معاني التفكر العقلي القائم على توظيف الفكر والتأمل، وحاكميّة المنطق القائم على الاستدلال الموصل إلى الحكم واليقين وهذا من صفات العقلاء[١٩].

أخلص من خلال ما سبق من الآيات العظيمة إلى أن إبراهيم (صلوات الله عليه) كان من منهجه في الدعوة إلى الله تعالى شأنه الاستدلال القائم على البرهان، والاحتجاج المستند إلى نفس الإنسان وعقله الذي لا يفتر عن إحداث الإيحاء الروحي النفسي لإعمال الفطرة النقية التي لا تقبل الزائف، ولا تركن إلا للبرهان الصحيح، وذلك من خلال أساليب عديدة منها نقض العقائد الباطلة بالسؤال الإنكاري الدال على عدم معقولية العقيدة ومنطقها في الإيمان بما لا يحُس ولا يسمع ولا ينطق ولا ينفع ولا يدفع الضر عن نفسه، وتسفيه الحجج التي تقوم دفاعاً عن ذلك أمثال التقليد الأعمى للباطل، فضلاً عن التنبيه على ما يقابلها من البراهين الساطعة لصدق دعوته ويقين شهادته على ذلك في الابتهال إلى الله تعالى والتوجه إليه والتوكل عليه بكل قوة وعزم وإرادة من دون إن يكون لعناد قومه أو وعيدهم له مقام في التراجع بل كان العكس من ذلك إنما انذرهم بالوعيد إزاء التكذيب والإصرار على الكفر.

استدلال كليم الله موسى عليه السلام:

وإذا غادرنا استدلالات خليل الله تعالى فلنا مع كليم الله موسى بن عمران عليه السلام مقام جديد ينبئ عن استدلاله في مقامات كثيرة ومواقف متعددة قص القرآن الكريم علينا بعضاً منها[٢٠]،

(١٩) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٥/ ٤٧، ظ كذلك/ الأمثل/ ١٢/ ٣٥٨، ظ/ الأساس في التفسير/ ٨٠/ ٤١٩٧.

(٢٠) ظ/ على سبيل المثال الآيات الآتية: [سورة

ولاسيما فيما تعلق بإثبات وجود الله تبارك وتعالى قال سبحانه عزّ من قائل: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٩ -٥٦]، وقوله كذلك في سورة الشعراء في حوار موسى مع فرعون: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٣ -٣٣].

فهذه الآيات الكريمة تظهر اتجاهين مختلفين ومنهجين متناقضين، فمسلكٌ منهما قوامه الطغيان والقهر بالسلطة الزائلة التي توهم بالتفرد الذي لا يماثل الى حد الشعور بالربوبية، وسبيل يدعو بحجة العقل والبرهان الى فاطر السموات والأرض يقول حقاً وينطق صدقاً، وفرق شاسع بين المنهجين، فرعون الطاغية يغالط، ويجحد، ويعاند، ويتهكم في الحوار مع موسى عليه السلام، ونبي الله عليه السلام يستدل ويبرهن ويدعو إلى الإيمان القائم على العقل والمنطق، وترك عمى التقليد والاستخفاف، وكلا الوصفين يتجلى من واقع الحوارين سواء وقعا مرتين بصورة فعلية ودار الحديث فيهما عن أهم ما يميز رسالة موسى عليه السلام، وهو ما اطمأن له واعتمده، أو جرى مرة

الأعراف: ١٠٥، ١٣٨ -١٤٤]، [سورة الإسراء: ١٠٢]، [سورة إبراهيم: ٨ -٦]، [سورة المائدة: ٢٠].

واحدة[٢١]، وتعددت أساليب القرآن وأسرار نظمه في حكاية الحوار في كل مرة بصورة تليق بلطائف سياقاته وأفانين تعبيره المعجز.

وعلى أية حال يتبين لك من سؤال فرعون الطاغية من حواريه انه بلغ أقصى غاية الجحود والعناد وذلك من خلال دلالة سؤاليه بـ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾، و﴿ ...وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فقد أضاف كلمة (رب) للضمير الدال على موسى وهارون عليهما السلام إنكاراً وتهكّماً واستخفافاً لأنهما نسباه لرب العالمين وأنكرا عليه ادعاءه الربوبية، وذلك بحسب الأمر الإلهي في سياق الآيات في سورة طه[٢٢]، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [سورة طه: ٤٧]، فقد خاطباه بوصفه مربوباً من جهة ومن جهة أخرى أنهما رسولا ربه إليه مع الحجة والبرهان والأمر بإطلاق بني إسرائيل وعدم تعذيبهم.

ومن فرائد المعاني القرآنية يقتطف العلامة الطباطبائي قدس سره وجهاً في سؤاله بـ(مَنْ) ليس من جهة إنكاره لوجود الخالق فحسب، وإنما هول إنكار طغيانه وقوته، ونقض ادعائه الربوبية هو ومَنْ تولاّهم من الآلهة وهي ما جاءت به آية الأعراف في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٧]؛ لذا كان السؤال بـ (مَنْ) والإجابة الاستدلالية من موسى عليه السلام بتحديد وصف هذا المعنى المكنى عنه بـ(مَنْ).

يقول العلامة الطباطبائي «فقول فرعون: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا ﴾ ليس إنكاراً لوجود خالق الكل، ولا إنكار أن يكون

(٢١) ظ/ روح المعاني/ ١٩/ ٩٦، ويستدل الالوسي على إن سورة (طه) نزلت قبل سورة (الشعراء) برواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقل جواز وقوع المحاورة مرتين وان فرعون سأل أولاً بقوله: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[سورة طه: ٤٩]، وسأل ثانياً بقوله: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٣]، وقد قص تعالى ذلك السؤال الأول فيما انزله في طه والثاني فيما انزله في الشعراء.

(٢٢)ظ/ في ظلال القرآن/ ٤/ ٢٣٣٧.

له إله كما يظهر من قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ...﴾، وإنما هو طلب منه للمعرفة بحال من اتخاذه إلهاً وربّاً مَن هو غيره؟. وهذا معنى ما تقدم أن فرعون يتغافل في قوله هذا عن دعوتهما إلى الله سبحانه، وهما في أول الدعوة فهو يقدّر ولو كتقدير المتجاهل أن موسى وأخاه يدعوانه إلى بعض الآلهة التي يتخذ فيما بينهم رباً من دون الله فيسأل عنه»[٢٣].

لذا كان الجواب الاستدلالي الموسوي على (مَن) بتحديد الوصف الذي لا يدانى ولا يبارى وهو قوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه: ٥٠]، فقد نسب بطريق باهر الجميع إليه تعالى بقوله: ﴿رَبُّنَا﴾، ورسّخ أنهم خلقه تعالى وانه عز وجل المدبر والمقدّر لهم، وعطاؤه كلّ شيء لديهم، بوجه من العموم والإطلاق، فهو ما لا يمكن إن تحيط بوصفه –والمخاطب فرعون –الجبابرة والطغاة، وهذه الجملة على إيجازها «إشارة إلى أصلين أساسيين من الخلقة والوجود وكل منهما دليل وبرهان مستقل يوصل إلى معرفة الله»[٢٤]، وهو تعالى الذي وهب الوجود ولعل في دلالة تقديم «كل شيء» انه تعالى هو واهب الوجود لكل من خلقه وأوجده فلم يخل كل مخلوق من عطائه وتقديره وتدبيره وهديه[٢٥].

فكان رد فرعون على هذا الاستدلال القاطع بطريق من التهكم ومحاولة إخراج الحوار عن أسسه بسؤاله عن عقائد القرون التي سبقته[٢٦]، وأراد بذلك أن يوجه الأنظار إلى إشراك من سبقته من الأمم، وعدم معرفتها بمن يدعو إليه موسى عليه السلام، وهذا نوع من أنواع مصادرة أدلة المقابل في أن يستجمع المحاور المغلوب على أمره شواهد مما غابت عنه، وعن المقابل ويدعي علمه بحالها ولتكون شاهدة على ادعائه[٢٧]، فما كان من جواب كليم الله عليه السلام إلا أن يوظف ذلك لدعوته

(٢٣) الميزان/ ١٤/ ١٦٤.

(٢٤) الأمثل/ ١٠/ ١٤.

(٢٥) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٢/ ٦٦، ظ كذلك/ في ظلال القرآن/ ٤/ ٢٣٣٨.

(٢٦) ظ/ مجمع البيان/ ٧/ ٤٣، ظ كذلك/ تفسير القاسمي/ ٥/ ٣.

(٢٧) ظ/ التفسير الكاشف/ ٥/ ٢٢٢.

ويجعله استدلالاً لما هو فيه، ويقرر ذلك بما بعده من الآيات الدالة على القدرة الإلهية في التدبير لخلقه، فقد استدل بدليل عام شامل لكل الخلق أولاً ثم فصل ذلك في قضية تمهيد الأرض، والسبل، والسماء، وأمر الحياة من الماء في مظهر الطبيعة وما يتعلق بها من معاش الإنعام عليها[٢٨]، وهذا بيان واضح لمعنى (ثم هدى) الذي عبر عنه بـ(ربيّ) العالم الذي لا يضل ولا ينسى[٢٩] وهو القادر على التصرف والتدبر في الأرض وفي السماء وتسخيرها لخلقه في الإنعام عليهم بما جعل من الأرض مهداً وسلك لنا فيها سبلاً كثيرة، وجعل من السماء سبباً في الأرزاق والإنعام على الأرض التي فيها كان الوجود واليها يكون العود ومنها يكون البعث والنشور، فأثبت لله تبارك شأنه في هذا الاستدلال العظيم الخلق والإيجاد والموت والانتهاء، ثم العود والإخراج كل ذلك تدبيراً من الحكيم الخبير. وفي هذا آيات وعبر لمن كان له لبٌّ يعقل به، أو نهىً يتفكّر بها[٣٠].

لقد أراد موسى عليه السلام أن يحرّك فيهم حواسهم المدركة التي توصلهم إلى التفكر والتدبر والتعقل بحقيقة الخالق المدبر، فما ذكر لهم من صور ومشاهد حسية عيانية فيها من دقائق صلة الإنسان بما حوله من الحياة أو الطبيعة فالأرض والسماء وما للخلق من صلة بهما فهما في تواصل عجيب في إغنائه وتلبية حاجاته من خلال تدبيرها من الخالق الذي جعل الحياة نتاجاً لما سخرّ ودبرّ لخلقه من النعم والمعائش، ثم ينتقل باستدلاله عليه السلام من الصور الحسية المجسدة للحقيقة الإلهية في الربوبية إلى مقام إقرار مرجعية التدبير في الخلق والإيجاد والموت والانتهاء، والبعث والنشر إنها بيده ولا يقدر سواه على ذلك، ولك في تصور دلالة ألفاظ (خلقناكم، نعيدكم، نخرجكم) على هذه المعاني.

فما قرره موسى عليه السلام مظهر من مظاهر وصف من سأله عنه فرعون بـ(مَنْ)

(٢٨) ظ/ التفسير المنير/ ١٦/ ٢٢٤ -٢٢٥.
(٢٩) ظ/ المحرر الوجيز/ ١٠/ ٣٧، ظ كذلك/ روح المعاني/ ١٦/ ٦٨٨.
(٣٠) ظ/ التبيان/ ٧/ ١٧٩، في ظلال القرآن/ ٤/ ٢٣٣٩.

فأين منه من يدعي الربوبية وينكر كونه مربوباً، كل ذلك اسقط ما في يد المتجبر على ربه، ولم يحر جواباً معقولاً لموسى عليه السلام لذلك عبرت عنه الآيات بأنه (كذب وأبى) من بعد هذه الآيات الواضحات الباهرات، وركن الطاغية إلى وهمه وجبروت سلطانه فقال لكليم الله بما حكى القرآن المجيد قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ [سورة طه: ٧٥]، هذه سُنّة الظالمين لا يجدون غير الاتهام والجور سبيلا أمام الحقائق والبراهين العيانية الواضحة التي لا يختُلف عليها مطلقاً، فإذا كانت لك الربوبية كما تدعى فغيرّ ذلك عن مجراه وسنته وقوانينه في الخلق والإيجاد والرزق والاماته والبعث وغير ذلك التي سنها الخالق العظيم[٣١].

أما حوار موسى وفرعون في آيات الشعراء، فقد جاءت على منوال آيات سورة طه منهجاً وفكراً فتلحظ الجحود والطغيان والإنكار، وأسلوب التهكم والاستخفاف، فضلاً عن الإتهام والقهر والتسلط بعد أن سقط ما في يده، أمام المنطق والبرهان والاستدلال من موسى عليه السلام.

ومهما يكن من أمر فأن أول ما يواجهك في الحوار سؤال فرعون بقوله: ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾، إشارة إلى خطاب موسى وهارون له في السورة نفسها قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٦]، فأراد بيان موقفه منهما ومما يدعيانه بالرسالة من (رب العالمين) لأن في إنكار حقيقته إنكاراً ونقضاً لإرسالهما وبطلان ما أُرسلا به[٣٢]. وعلى الرغم من اختلاف المفسرين في توجيه معنى السؤال[٣٣]، ﴿ وَمَا رَبُّ

(٣١) ظ/ الجامع لأحكام القرآن/ ١٤/ ٨٢، ظ كذلك/ روح المعاني/ ١٦/ ٧٠١-٧٠٢، ظ كذلك/ المحرر الوجيز/ ١٠/ ٤٠-٤١، ظ/ الأساس في التفسير/ ٧/ ٣٣٦٩.

(٣٢) ظ/ في ظلال القرآن/ ٥/ ٢٥٩٢.

(٣٣) خالف العلامة الطباطبائي قدس سره المفسرين في معنى السؤال وهو عنده سؤال «عن حقيقة الموصوف بهذه الصفة بما هو موصوف بهذه الصفة (رب العالمين)، ولم يسأل عن حقيقة الله سبحانه، فأنه لوثنيته كان معتقداً بوجوده مذعناً له، وهو يرى كسائر الوثنيين انه لا سبيل إلى إدراك

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، إلا إنهم اتفقوا على دلالة الإنكار لله تعالى الخالق المدبر الذي لا شريك له.

ولا يخفى أن المراد من السؤال بـ(ما) الاستهزاء والتهكم إذا أريد به جنس الشيء وحقيقته؛ لأن فرعون لا يرى غير طغيانه رباً لأحد وهو ما الم إليه في سياق الآيات كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٨]، فكيف يأتي من يدعي لغيره الربوبية وهو مَن يعرف حال موسى ونشأته عنده، وقد أجابه موسى على ذلك وأفحمه، ثم عاد ليؤكد إجابته واستدلاله إنكاره على فرعون بأن من تجاهلت حقيقته هو ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ وهذه الإجابة حملت بعداً في الإشارة إلى تصاغر مقام فرعون وملكه أمام مَـنْ له كل هذا وما بينهما من جهة، وإلى تقرير أن الله تبارك شأنه هو المدبر الحكيم المتفرد في السموات والأرض وما بينهما فلا ند له ولا شريك له.

فهذا التوجيه الاستدلالي بالسموات والأرض إنما شأنه تكسير جمود النفوس على سطوة الطغيان في اتخاذ فرعون رباً وإلهاً وتحريك الوازع النفسي عند الحاضرين للحوار والشاهدين على تبادل البرهان والاحتجاج فيه، ولا سيما ان استدلال موسى عليه السلام يعتمد على ما هو حسي ملموس شاخص ينعدم لفرعون أيّ اثر فيه دلالة على خروجه عمّا يدعيه من الإلوهية والربوبية، بل العكس يصح انه جزء مما هو مقدّر ومدبّر وهو محكوم بإله، ومربوب لغير نفسه، ولعل ذلك يتضح أكثر من محاولة فرعون توجيه الحوار على

حقيقته كيف؟. وهو أساس مذهبهم الذي يبنون عليه عبادة سائر الآلهة والأرباب» الميزان/ ١٥/ ٢٦٧، بينما ذهب طائفة من المفسرين إلى أن السؤال كان عن حقيقة الله تعالى وجنسه، ولأن ماهية واجب الوجود كما يذهب (الفخر الرازي) لا تعرف إلا بلوازمه وآثاره الجلية استدل موسى على انه «رب السموات والأرض وما بينهما» ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٤/ ١٢٨، ولأن ذات الله سبحانه بعيدة عن تناول أفكار الناس، فأن موسى عليه السلام اخذ يحدثه عن آيات الله في الأفاق وآثاره الحية، ظ/ الأمثل/ ١١/ ٣٥٨، ظ/ كذلك/ التبيان/ ٨/ ١٤، الجامع لأحكام القرآن/ ١٦/ ٢١، روح المعاني/ ١٩/ ٩٦، في ظلال القرآن/ ٥/ ٢٥٩٢.

غير وجهه رغبة في التمويه والاستهزاء وهو ما يبدو في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٥]، أراد توجيه نظر أتباعه وإشغالهم بالاستهزاء والتلبيس عليهم ونزعهم عن استدلال موسى وحجته، فإذا بموسى عليه السلام يؤكد الاستدلال الأول بآخر ويقرر معنى مربوبية جميع الخلق ومَنْ يخاطبه ويسمعه ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٦].

ولا تخفى عليك دلالة الاستقصاء والشمول للحاضر والغائب الغابر على مدى قدمه من أول الخلق، وهو دليل وإشارة على القادم كذلك من الخلق هذا من جهة، ولعل فيه إشارة استدلالية لطيفة على سؤال فرعون في سورة طه وهي قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة طه: ٥١]، وهو دليل على تراتب الحوارين وتكاملهما واحداً بعد الآخر فعلياً والله العالم.

وجرياً على طريقة الظالمين والطغاة وأسلوبهما لم يملك فرعون إلا اتهام موسى عليه السلام بالجنون بصورة من الاستخفاف به[٣٤]، وبمن أرسل إليهم بما يجسد أزلية هذا الاتهام قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٧]، فما كان منه عليه السلام إلا إن يوظف كل اتهام وإصرار على الكفر والعناد لصالح رسالته من جهة ورد الاتهام بالدليل الفاعل في إفهام الناس وتعميق تفكرهم وتعقلهم في نفوسهم وبما يؤدي إلى زلزلة ثوابت عقيدتهم بفرعون رباً وإلهاً إلى فكر باحث في حقائق يحسونها ويتعاملون بها في مشاهداتهم اليومية، وهو قوله على لسان موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٨].

ويطيب لبعض المفسرين استثمار دلالة (تعقلون) وما فيها من دعوة لسيادة العقل والتدبر وان الأمر قد انقلب على فرعون في اتهامه لموسى عليه السلام بالجنون لأنه قد أحكم استدلاله بما لا يقوى عليه أيّ مدعٍ في دفعه او التصرف فيه وهو الشروق والغروب فهي من ظواهر

(٣٤) ظ/ مجمع البيان/ ٧/ ٤٩٦، الأمثل/ ١١/ ٣٥٨.

العظمة والقدرة الآلهية والتدبير الرباني ولعل ذلك يقرب تلميحاً من حوار إبراهيم عليه السلام مع نمرود[٣٥].

وأنت تلحظ طريق كليم الله تعالى في استنباط المعاني التي يريدها من بعض أقوال معانده وخصمه، وردها عليه بمنهج استدلالي ينتقل فيه من مقام إلى آخر، ويعدل فيه من سبيل إلى ما هو اخص منه، واقرب لفهم السامعين والحاضرين الشاهدين لمجريات الحوار، والمغالبة الفكرية العقدية التي لا مناص من آثار نتائجها عليهم، وفي توجهاتهم، وما ذاك إلا لقوة الاستدلال وفخامة الدليل ووضوحه، ومهارة المستدل وحكمته وبيان الآلية والمنهج في الخطاب، وإجرائيات الإثبات وانتزاع الدليل، لذا تراه عليه السلام قد عدل من الاستدلال (بالسموات والأرض وما بينهما) إلى (ربكم ورب آبائكم الأولين) فهذه انتقالة من دليل اعم إلى آخر هو اقرب للسامع وأخص به من باب انه محكوم به، أو موجه في غالب ما يتعقد بها حوله، ومن حوله ومن له الأثر الفاعل في اعتقاده، ثم بعد ذلك انتقل في الدعوة إلى التعقل وعَكَسَ موضع الاستدلال على الفكر والنفس فمن خلال مشاهدات الشروق والغروب الكثيرة ألفها الإنسان ولم يعد يشعر بما وراء ذلك من حكمة التدبير في المكان والزمان وجادتها الكون بما له من كواكب وأقمار فجاء عليه السلام بذكر المشرق والمغرب[٣٦].

وبعد كل هذه الاستدلالات النافذة فكراً ومنطقاً لم يكن من جواب فرعون إلا ما جبل عليه من الطغيان والقهر والتهديد والوعيد، وهذا منطق كل الجبابرة وحالهم الذين يقابلون الفكر بالقوة والظلم والعدوان في كل عصر قال تعالى حكاية على لسان فرعون: الشعراء: ٢٩. ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٩].

ولعل ما سبق من الحديث عن خليل الله وكليمه (على نبينا وآله وعليهما أفضل

(٣٥) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٤/ ١٢٩، روح المعاني/ ١٩/ ٩٧، معارج التفكر ودقائق التدبر/ ٨/ ٥٩٧، الأساس في التفسير/ ٧/ ٣٩١٤.

(٣٦) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٤/ ١٢٩، ظ كذلك/ في ضلال القرآن/ ٥/ ٢٥٩٢.

الصلاة والسلام)يعد وجهاً من وجوه الاستدلال في إثبات وجود الله تعالى شأنه وتوحيده، وعند التأمل والتدبر في محكم آياته وعزيز خطابه ترى وجوهاً أخرى في التعبير الاستدلالي عن التوحيد منها قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٣ -١٦٤]، فالآية الأولى ظاهرة في توكيد التوحيد وتقريره وترسيخه[٣٧]، وعموم خطابها واضح من استعمالها الضمير الدال على الجمع المطلق[٣٨]، فضلاً عن إقرار الوحدانية فإنها تنفي وتزيح أي توهم في وجود اله آخر يستحق العبادة[٣٩]، وسواء جاءت هذه الآية في سبب معين أو عدة أسباب[٤٠]، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومهما يكن من أمر فالآية أفادت بتراكيبها: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، و﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾«اختصاص الإلوهية بالله عز اسمه ووحدته فيها وحدة تليق بساحة قدسه تبارك وتعالى، وقوله تعالى: ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، جيء به لتأكيد نصوصية الجملة السابقة في التوحيد ونفي كل توهم أو تأويل يمكن إن يتعلق بها، والنفي فيه نفي الجنس»[٤١]، والتعقيب بالصفتين «الرحمن والرحيم» لتوكيد معنى الوحدانية فضلا عن أن ذكر الإلهية والفردانية يفيد ويوحي بالقهر والغلبة والعلو فعقبَها القرآن بذكر هذه المبالغة في الرحمة ترويحاً للقلوب، ليشعرا بأن رحمته سابقة وأنه ما خلق الخلق

(٣٧) ظ/ الكشاف/ ١/ ١٦١، ظ كذلك/ جوامع الجامع/ ١/ ١٧٠، ظ كذلك/ تعير حدائق الروح والريحان/ ٣/ ٧٢.

(٣٨) ظ/ تفسير أبي السعود/ ١/ ٢٢٥، ظ كذلك/ روح البيان/ ١/ ٢٦٩.

(٣٩) حاشية القونوي/ ٤/ ٣٩٤، ظ كذلك/ كنز الدقائق/ ٢/ ٢٠٩.

(٤٠) ظ/ التفسير الكبير/ للإمام الطبراني/ ١/ ٢٧٦، ظ كذلك/ الهداية إلى بلوغ النهاية/ ١/ ٥٣٥، ظ/ عقود المرجان/ ١/ ١٥١.

(٤١) الميزان/ ٢/ ٣٩٢ -٣٩٣، ظ/ التحرير والتنوير/ ٢/ ٧٣

إلا للرحمة بهم والإحسان إليهم[٤٢].

واتصال سياق الآية بما سبقها يشير الى عظمة دلالتها على تنزيه الله تعالى وتوحيده من جهة، وبالاستدلال عليه بصورة فريدة من جهة ثانية فقد حذرت الآيات السابقة من كتمان ما انزل الله تعالى شأنه من البينات والهدى، وأول ما يجب إظهاره وعدم كتمانه أمر التوحيد، ثم وصل أمر التوحيد بالبرهان عليه من طريق التفكر والنظر في عجائب صنعه وعظمة خلقه وتدبيره[٤٣]، فالاستدلال على وحدانيته تبارك وتعالى بمخلوقاته العجيبة ومصنوعاته البديعة المحسوسة اقرب لفهم العامة وأظهر أثراً فيهم، وأن من توغل في التأمل والتفكر في خلقه وصنعه تبارك شأنه كان أكثر علماً بجلالة عظمته وقدرته وحكمته[٤٤]،

فقد جسدت الآية مشاهد حسية مدركة للعيان تُوصل إلى التفكر بالعقول والجنان، فخلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وسير السفن وجريانها في البحار، ونزول الماء من السماء، وإحياء الأرض بعد يبسها وموتها، وبث الخلق فيها يدبون عليها، وتحريك الرياح والسحاب وتسخيره بين السماء والأرض يجري في حراك تدبيري حكيم لا يمكن أن تكون هذه الآيات الباهرات من دون صانع مدبر قادر، ففي كل جزء من هذه الآيات شهادة دالة عليه تعالى يمكن استيعابها، والركون الى وعيها عندما يوصل بين حقائقها والتدبر فيها وتعقل وجودها.

فهذه الآيات القاطعة في استدلالها، والبراهين العظيمة في احتجاجها لا يمكن لعاقل إنكار صانعها أو جعل الشركاء فيها؛ لأن في تعارض أرادة الشركاء واقع لا محالة في التدبير، والانتظام والحكمة فضلاً عن القدرة؛ لذا كان الخطاب القرآني موجِها الاستدلال بالآيات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

(٤٢) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٤/ ٧٧، ظ كذلك/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ ١/ ٢٢٥.

(٤٣) ظ/ الجامع للإحكام القرآن/ ٢/ ٤٨٨-٤٨٩، ظ كذلك/ تفسير القرآن العظيم/ ١/ ٤٧٤.

(٤٤) ظ/ نفحات الرحمن في تفسير القرآن/ ١/ ٣٧٦.

وأنت تلحظ أن الاستدلال القرآني انتقل من مقام الخلق للسموات والأرض إلى مقام الحكمة في التدبير سواء في تعاقب الليل والنهار أو حركة البحار وما فيها من السبل والطرق بما ينفع الناس إلى تقدير إحياء الأرض بالماء وما يدبُّ عليها، وفي تصريف الرياح وانتقال السحاب من مكان الى آخر فضلاً عن أن ذلك كله من المشاهد تجري بتوظيف لما هو محسوس من جهة ومُدرك قابل للتفكر والتدبر والوصول إلى الإيمان بالفاعل الحقيقي في كل هذه المشاهد والاطمئنان والسكون إلى الاعتقاد به إلهاً واحداً لا اله إلا هو الرحمن الرحيم من جهة ثانية.

وبمجرد التفكير بخلاف هذه الفاعلية في التدبير والحكمة والتقدير[٤٥] في هذه الصور التي عرضها القرآن الكريم فإنك تصل إلى استحالة تحقق هذه النعم، بل سيؤدي فقدان التدبير في حركية هذه النعم إلى نهاية الحياة، وهذا ما يسلم به الفهم الصائب، والتعقل الصحيح، فلا يمكن أن تغيب عن هذا النظام العجيب الفريد قدرة الصانع المدبر، والكريم المقدر وهو الذي لا يستحق سواه أمام هذه النعم العبادة، ومع كل ذلك ترى القرآن الكريم يؤكد حقيقة تسافل عقول الكفار، وتداني مداركهم أمام هذه الاستدلالات العقلية والحسية الشاهدة عليهم بأن يجعلوا لله سبحانه من خالق عظيم ومدبر حكيم أنداداً من دونه قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وهذا أمر عجيب في العناد ومخالفة الفطرة والعقل، التي جعلها تعالى الموجّه الذاتي لكل إنسان، ولعل دائرة الكفر والعناد تتسع عند من ينكر هذه الحقائق حتى ليصل إلى إنكار بث الحياة في الرميم، وعدم التصديق بالبعث والنشور والتكذيب به، قال عزّ من قائل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ

(٤٥) ظ/ روح المعاني/ ٢/ ٣٢-٣٣.

﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس: ٧٧-٨٢].

جاءت هذه الآيات في سياق استدلالي احتجاجاً وبرهاناً لمن أنكر التوحيد واتخذ من دون الله تبارك شأنه ناصراً ووليّاً[٤٦]، وقد أصلت لظاهرة قرآنية[٤٧]، مفادها إبطال التكذيب بالبعث والنشور عند من يكفر بالله تبارك اسمه، مدعياتهم، ونقض مزاعمهم وتسفيه حججهم، بالأدلة الحسية والعقلية الموضوعية التي لا تغادر النفوس إلا وأثرها مجذّر في حنايا المسائل والقضايا التي تبحثها.

(٤٦) لعل سياق الاستدلال من الآية (٦٠) من سورة يس.

(٤٧) ظ/ الآيات المباركة التي تناولت هذا المعنى واحتجت عليه [سورة الإسراء: ٤٩، ٩٨]، [سورة المؤمنون: ٣٥، ٨٢]، [سورة الصافات: ١٦، ٥٣]، [سورة الواقعة: ٤٧].

وفي هذا السياق استدلت آيات الذكر الحكيم بالدلائل الافاقية على وجوب عبادته ثمّ عادت لتؤكد ذلك بالدلائل من الأنفس، لأنها اشمل وأكمل وأتم وألزم، فالإنسان قد يغفل ويسهو عن خلق ما سواه لكنه لا يمكن أن يغفل عن نفسه[٤٨].

فيأتي الاستفهام الاستنكاري «﴿ أَوَلَمْ يَرَ وَذَلَّلْنَٰهَا.. ﴾»، وهو مسلك أسلوبي استدلالي مبتكر نهجه الذكر الحكيم كثيراً[٤٩]، ولا يخفى ما فيه من دلالة

(٤٨) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٦/ ٩٣، ظ كذلك/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ ٧/ ٩٩.

(٤٩) من نافلة القول هاهنا أن القرآن الكريم قد استعمل أساليب شتى في إمضاء وترسيخ الاستدلال وكان من بين أهم هذه الأساليب أسلوب الاستدلال بالاستفهام الإنكاري ((أولم))، أو غيرها مما يدل على النفي ثم ما يعقبها من ألفاظ دالة على البعد الفكري التأملي مثل (يروا، يتفكروا، يعلموا، ...)، أو غيرها من الألفاظ الدالة، أو استعمال أسلوب التقرير للمعنى الاستدلالي القرآني ومن ذلك لأسلوب التعبير الذي هو ظاهرة قرآنية تتجسد في التراكيب وأمثاله ((الله الذي)) أو استعمال التركيب الشائع في القرآن ((ومن آياته...)) أو((ولئن

الاستنكار على غفلة الإنسان والتعجب منها، ولا سيما ان هذه الغفلة محاطة بمعاني يلوّح القرآن الكريم بذكرها منها أنها غفلة عن اقرب ما يكون للإنسان في نفسه، وهو أمر خلقه، والثاني أنها غفلة معقدة مركبة في حال من الخصام والجدل، والظهور والعلن، ولعل في صياغة (خصيم) المبالغة في العناد والتنازع في أمر آياته ودلائله منه وفيه فهو غافل عن جهله وغفلته، أضف إلى ذلك استعمال (إذا) الفجائية المتصلة بالفاء الدالة على قوة استنكار القرآن على الإنسان هذه المعاني[٥٠]، في إظهار عقيدته الباطلة في تكذيب البعث والنشور والاحتجاج لها بضرب المثل في حال من حاكمية الغفلة والنسيان على التفكر في خلقه وإيجاده من(نطفة) وهو منها، والعجيب انه يتساءل بدلالة الإنكار كذلك والتعجب ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾، فهو يقايس القدرة الإلهية بقدرته وقد غاب عنه حاله، أو التأمل في أصله وخلقه ومبدئه[٥١]، فيأتي الجواب الاستدلالي والبرهان الإلهي لخرس قبح وفضاضة السؤال، ويحتج على ذلك بالدلائل المتعاضدة المتتالية التي ترسخ مبدأ التعقل والتفكر وتنسف عقيدة المكذب الذي يجعل -واهماً -من نفسه وقدرته مثالاً لقدرة الصانع الحكيم سبحانه، وذلك بالإيحاء الذي في الآية وهو إشارتها إلى أول الإنشاء وهي (النطفة) التي عبرّ عنها المنكر في المقابل بـ(العظام) التي جاءت في سؤال المكذب على أنها أعظم ما في الإنسان وأقواه فإذا بليت، وتفتتت فكيف بباقي جسده فـ(النطفة) هي أصل هذه العظام وكل أجزاء الإنسان

سألتهم)) وأمثاله أو استعمال التركيب الدال من خلال الفعل والاستفهام عن الحال نحو ((انظروا كيف...)) وأمثاله أو استعمال ضرب المثل، وغير ذلك من طرائق القرآن العظيم في إيراد الاستدلال على المقاصد التي يبحثها ويبرهن عليها، ولك أن تنظر في شواهد مختلفة قرآنية جرى الاستدلال فيها على هذا النوع/ ظ/ المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم/ ١١، ٤٢، ٣٤٦، ٣٧٦.

(٥٠) ظ/ تفسير المظهري/ ٨/ ٥٦.

(٥١) ظ/ مفاتيح الغيب/ ٢٦/ ١٠٨ -١٠٩، روح المعاني/ ٢٣/ ٧٢، فتح البيان في مقاصد القرآن/ ٥/ ٥٣٢.

التي كونت هذه الهيئة، ثم يردف القرآن الكريم الدليل بالدليل والحجة بالحجة وينتقل بالإنسان من نفسه إلى ما حوله مجدداً ويدعوه إلى التفكر والتدبر فيما هو بين يديه، وشاخص في حياته ومتمثل أمام عينه وهو إخراج النار من الشجر الأخضر(٥٢)، فقد «أقام الله عز وجل الدليل عليهم يرفع استبعادهم ويبطل إنكارهم بالشجر الأخضر الممتلىء بالماء المضاد للنار علماً بأن هذه تتولد من ذاك، مع أن الشجر الأخضر من الماء، والماء بارد رطب ضد النار، وهما لا يجتمعان وقد اخرج الله تعالى منه النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، لأنه تعالى على كل شيء قدير إذ جمع في الشجر الأخضر بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب»(٥٣).

فمن قدَر على ذلك، فهو قادر على إحياء العظام وبث الحياة فيها، وجعلها كما هو حال الإنسان في حياته، ولم يقف الاستدلال القرآني عند هذا الحد في تنبيه الغفلة وإيقاظ النسيان في المكذِّب المعاند فانتقل به إلى دليل آخر أعظم واكبر قصداً في كسر صنم العقيدة الفاسدة في النفوس، وأملاً في أحياء روح التفكر والتدبر في نفس الإنسان وما حوله، فجاء بالدليل الأوفى الذي لا يرد وهو قوله جل وعلا بطريق السؤال الاستنكاري المبطل لفكر المخاطب وعقيدته قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة يس: ٨١]، فهذه الحجة في مقام التأثير أبلغ من جهة الشمول والتصور للسموات والأرض، ولعل في ذلك إيحاءً بليغاً للعاقل أو المتعقل في أن خلق ما هو أعظم من الإنسان اكبر من خلق الإنسان وهو قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة غافر: ٥٧]، على أن كلا الخلقين خلق الإنسان وخلق السموات والأرض من

(٥٢) من أنواع الشجر التي يوقد منها النار وهي خضراء (المَرْخ) و(العَفَار) يشتعلان بضرب احدهما بالآخر. ظ/ فتح القدير/ ٤/ ٣٨٣.

(٥٣) تفسير البصائر/ ٣٣/ ٩٧٥، ظ كذلك/ الميزان/ ٢٣/ ١١٢ -١١٣.

دلائل وجوده وتوحيده تبارك وتعالى وكثير من الآيات الكريمات استدلت على ذلك[٥٤].

ولا ريب في أن الإنسان صورة من صور قدرته وجلال عظمته فانتقال خلقه من مقام إلى آخر من الطين إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى المخلقة وغير المخلقة إلى مرحلة العظام واللحم ثم من بعد ذلك هيأه أخرى ثم الموت ثم البعث والنشور قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٢ -١٦].

ومهما يكن من أمر فالآية المباركة بجوابها ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، إنما تقرر القدرة الإلهية وتنزع هذا التعجب والإنكار من المكذّب في مَثَله الذي يخاصم به لترسيخ قدرته اللامتناهية «في الخلق والعلم كيفاً وكماً»[٥٥]، وهي بعض إشارة المبالغة في قوله ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾ التي تعضّد بأسلوب الحصر في بيان هذه القدرة الإلهية المحصورة بين الكاف والنون فليس للزمان او المكان الكبر أو الصغر أمام هذه الإرادة حاجز[٥٦]، ولعل التنزيه لله سبحانه في آخر السورة أعظم دليل على قصور الأفكار والأوهام عن تصور هذه القدرة المطلقة العامة التي لا ينفلت منها شيء ولا تخرج عن العلم والإرادة ثم العود إليه تبارك وتعالى وهو لب المقاصد التي جاء الاستدلال عليها في سياق هذه الآيات وبياناتها الدلالية والله العالم

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

يمكن للباحث أن يقرر بعضا من أهم النتائج التي توصل إليها:

(٥٤) ظ/ المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهات في القرآن الكريم/ ١٤٦ -١٤٧٦.

(٥٥) روح المعاني/ ٢٣/ ٧٧.

(٥٦) ظ/ في ظلال القرآن/ ٥/ ٢٩٧٨.

- أظهرت الدراسة ملامح من المنظومة الاستدلالية في قيامها على تعاضد العقل والفطرة في الخطاب الاستدلالي القرآني.
- بيَّن الباحث أن الاستدلال اتخذ أساليب كثيرة متعددة، جسدت شمولية القضايا التي تناولها وفقا لمنهج تقريري عقلي بديهي لا سبيل الى الاختلاف عليه.
- أوضحت الدراسة أركان العملية الاستدلالية، وكشفت عن منهجها في الوصول إلى المعاني والحقائق المرادة من خلال تأسيس وإقرار العقائد السماوية و الشرائع الإلهية، ونقض ما سواها.
- اجتهد الباحث في اختيار تقسيم الاستدلال على نوعين هما: الاستدلال الصريح، والاستدلال بالإشارة والتلويح، بدلا من تقسيمات المناطقة له؛ بناءً على أسبابٍ موضوعية.
- كشف الباحث أن قوة الخطاب الاستدلالي وفخامته اللغوية والأسلوبية هي محصلة استعمال منهجين فعَّالين مؤثرين هما أسلوبا الاستفهام الإستنكاري، وأسلوب التمثيل والتصوير.
- وقف البحث مظهرا ومشيرا إلى أهم مسائل الاستدلال القرآني وهي التوحيد والخلق والتدبير والبعث والنشور، وأوضح شيئا من كيفية انتزاع القرآن الكريم براهينه ودلائله من مديات الاستدلال على الإنسان في نفسه وآفاقه وانتقاله من دلالة إلى أخرى.
- اكتشف البحث لطائف من ترتيب آيات القرآن الكريم وأسرارها، وأوضح أن الاستدلال الطريق الأمثل لمعرفة كيفية انتظام موضوعات السور القرآنية وبيان مقاصدها.

أهم المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القران، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ط١، دار نوبلس، بيروت، ٢٠٠٧م).
- الإحصاء الاستدلالي في علم النفس د. محمود عبد الحليم منسي، (دار المعرفة الجامعية –مصر، ٢٠٠٧م).

- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، (ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
- أساسيات الاستدلال الإحصائي، د. عبد المرضي حامد عزام، د. اسامة عبد العزيز سيد(الدار الجامعية -مصر، ٢٠٠١م).
- الاستدلال، روبير بلانشي، ترجمة أ. د محمود اليعقوبي (دار الكتاب الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت (ط١، المغرب -دار المعرفة للنشر ٢٠٠٦م).
- الاستدلال عند الأصوليين، د. أسعد عبد الغني السيد الكفراوي، تقديم الأستاذ الدكتور علي جمعة (ط٢، دار السلام للطباعة، القاهرة -مصر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة، شمس الدين محمدبن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق أيمن عبد الرزاق الشوا، (ط١، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٧هـ-١٩٩٦ م).
- الله، عباس محمود العقاد، (ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت -لبنان، ١٩٧٨م، مطبوع ضمن الموسوعة الكاملة للعقاد، الجزء التاسع).
- الأمثال في القرآن الكريم، لأبي بكر بن محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد إبراهيم، (ط١، مكتبة الصحابة، مصر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- الأمثل في تفسير كتاب المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (ط١، مطبعة أمير المؤمنين قم -ايران، ١٤٢١هـ).
- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد... بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)(ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- بحوث في مبادئ الاستدلال، رضا الغرابي(ط١، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت لبنان، دار الكتاب العربي بغداد، ٢٠١١م-١٤٣٢ هـ).
- البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أبو

الفضل ابراهيم، (المكتبة العصرية – بيروت).

- بصائر ذووي التمييز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار (المكتبة العلمية، بيروت –لبنان).
- بهجة الخاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغوية ولاصطلاحية، الشيخ يحيى بن حسين... البحراني (القرن العاشر الهجري) تحقيق السيد امر رضا عسكري زاده (ط١، الإستانة الرضوية، مشهد –ايران –١٤٢٦هـ).
- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٢٦هـ)، (دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان).
- التعريفات الجرجاني، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م).
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي ابي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ –١٩٩٩م).
- تفسير البصائر، لأبي محمد يعسوب الدين رستكاره الجويباري، (ط١، مطبعة فروردين، قم –ايران).
- تفسير جوامع الجامع، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق وطبع مؤسسة النشر الاسلامي (ط٢، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٣م).
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران، الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الارمي العلوي الهروي الشافعي، اشراف ومراجعة: د هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (ط١، دار طوق النجاة بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ –٢٠٠١م).
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار احياء التراث العربي،

بيروت –لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م).
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، (دار الكتاب العربي، (١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م).
- التفسير الكبير تفسير القران العظيم، الامام الطبراني، تحقيق هاشم البدراني، (ط ١، دار الكتاب الثقافي–الاردن، ٢٠٠٨م).
- التفسير الكبير، الامام الفخر الرازي، (ط٢، دار الكتب العلمية، طهران).
- التفسير القران العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (ط٢، دار طيبة، الرياض – السعودية، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م).
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، (ط١، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ايران).
- تفسير المظهري، للقاضي محمد ثناء الله العماني الحنفي المظهري النقشبندي، (ت ١١٢٥هـ)، تحقيق احمد عزو عناية (دار احياء التراث العربي، بيروت –بيروت).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الاستاذ الدكتور وهبه الزحيلي (ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت –لبنان، ١٤١١هـ–١٩٩١م).
- الجامع لأحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(١٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي(ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م).
- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥هـ)، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م).
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الدكتور عبد العظيم ابراهيم المطعني، (ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ–١٩٩٢ م).
- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، الدكتور أحمد جمال

العمري، (ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

- روح البيان في تفسير القران، الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد احمد الآمد، عمر عبد السلام السلامي (ط١، دار احياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت -لبنان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري(٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار(دار العلم للملايين، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن بن حنبكة الميداني (ط٤، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- عقود المرجان في تفسير القرآن، السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، (احياء الكتب الاسلامية، ايران -قم).
- فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن علي الحسيني القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- الفروق، لابن قيم الجوزية، جمع وترتيب يوسف الصالح(ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م).
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد ابراهيم سليم(دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- في ظلال القرآن، سيد قطب، (ط٣٥، دالر الشروق، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).
- القصص القرآنية، أية الله جعفر

سبحاني (ط١، دار جواد الائمة، بيروت -لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للعلامة محمد علي التهانوي، تحقيق د علي دحروج (ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت -لبنان، ١٩٩٦م).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق: ابي عبد الله الداني، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيوب بن سوس الحسيني الكفوي، قابله على نسخة خطية واعده للطبع ووضع فهارسه: الدكتور عدنان درويش، محمد المصري، (ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- لماذا تتكرر قصص الانبياء في القرآن الكريم، عبد النبي علي الدرازي، (ط١، مكتبة الفخراوي، البحرين، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
- مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ط١، مطبعة اسوة، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).
- المحرر الوجيز في تفسير القران، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن ابرهيم الانصاري، السيد عبد العال السيد إبرهيم، (ط٢).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (ط٥، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٢).
- معارج التفكير ودقائق التدبير، عبد الرحمن حسين حنبكة الميداني، (ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهات في القران الكريم، د محمد زكي محمد خضر (ط١، دار عمار، عمان، الاردن، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل

الاعتقاد، الدكتور عثمان بن علي حسن (ط١، دار اشبليا، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

- المنطق والاصول طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقه والاصوليين، الدكتور يعقوب بن عبد الوهاب الباحين، (ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- الميزان في التفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، (ط١، مؤسسة الاعلمي، بيرت، لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن ابي طالب القيسي(ت ٤٣٧هـ)، (ط١، جامعة الشارقة، الامارت العربية المتحدة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).